

قبض الأرواح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين قال: رحمه الله تعالى: قال: حدثنا علي قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا ابن مهدي قال: أخبرنا سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد رحمه الله تعالى { وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ تَسْبُطًا } قال: قال: الموت. قال: حدثنا علي قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله: { إِنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ } قال: الموت. قال: حدثنا أحمد بن عمر قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا الوليد قال: قال زهير بن محمد رحمه الله تعالى: { فِي مَقَامٍ أَمِينٍ } قال: أمناون. قال: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة رحمه الله تعالى إسماعيل رحمه الله في قوله تعالى: { كَلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا } قال: لا يموتون. قال: حدثنا فضيل قال: حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة رحمه الله تعالى { يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينٍ } قال: من الموت. قال: حدثنا يحيى بن عبد الله عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: ما من أهل بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت صلى الله عليه وسلم يطيف كل يوم مرتين. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا عبد الصمد قال: سمعت وهبا رحمه الله تعالى يقول: إن الملائكة الذين يقرون بالناس هم الذين يتوفونهم ويكتبون لهم آجالهم فإذا كان يوم كذا توفته ثم قرأ: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ خَرَّجُوا أَنفُسَهُمْ } إلى آخر الآية وقيل لوهب رحمه الله تعالى: أليس قد قال الله تعالى: { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ } قال: نعم. إن الملائكة إذا توفوا أنفسنا دفعوها إلى ملك الموت وهو كالعاقب يعني العشار الذي يؤدي إليه من تحته. قال: حدثنا الوليد بن أبان قال: حدثنا محمد بن إدريس قال: حدثنا عمار بن خالد قال: حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن عبد الله بن يونس قال: سمعت الحكم بن عتيبة رحمه الله تعالى يقول: الدنيا بين يدي ملك الموت بمنزلة الطلست بين يدي الرجل. قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا أبو مسعود قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن عمار الدهني عن ابن المثنى الحمصي رحمه الله تعالى قال: إن الدنيا سهلا وجبالها بين يدي فخذ ملك الموت صلى الله عليه وسلم مثل الطلست معه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وقال غيره: قال عمار فسألته إذا كانت ملحمة؟ قال: السيف مثل البرق قال: يدعوها فتأتيه. قال: حدثنا الوليد قال: قرأت على يحيى بن عبد الملك قلت حدثكم المقرئ قال: حدثنا حيوة أخبرني أبو صخر عن يزيد الرقاشي قال: سمعت أنس بن مالك رحمه الله تعالى يقول لقي جبريل ملك الموت عليهما السلام بنهر كذا وكذا فقال الرقاشي قد رأيت ذلك النهر فقال: كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء قال: ها هنا عشرة آلاف وها هنا كذا فقال له ملك الموت: تزوي لي الأرض حتى لإني بين يدي فاتناول بيدي كذا وكذا. قال: حدثنا محمد بن سهل قال: حدثنا الوليد بن سلمة الدمشقي قال: حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يزار بك عسكر الأموات. قال: حدثنا محمد بن سهل قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا حفص بن عبد الرحمن الهلالي قال: حدثنا عمرو بن شمر عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه رحمه الله تعالى ورضي عنه قال: { دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعود من الأنصار، فإذا ملك الموت عليه السلام عند رأسه فقال رحمه الله صلى الله عليه وسلم: يا ملك الموت أرفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال: أبشر يا محمد فأني بكل مؤمن رقيق فأعلمن يا محمد إنني لأقبض روح ابن آدم فيصرخ أهله فأقوم في جانب من الدار فأقول: والله ما لي من ذنب وإن لي عودة وعودة، الحذر الحذر وما خلق الله عز وجل من أهل بيت مدر ولا شعر ولا وبر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم فيه في كل يوم وليلة خمس مرات حتى إنني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد إنني لا أقدر أن أقبض روح يعوضة حتى يكون الله تبارك وتعالى الذي يأمر بقبضه } . قال: حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: حدثنا محمد بن الحسن عن شعيب بن محرز قال: حدثنا صالح المري عن غالب القطان عن الحسن رحمه الله تعالى قال: قيل لموسى صلى الله عليه وسلم: كيف وجدت الموت؟ قال: كسفود أدخل في جوفي له شعب كثيرة تعلق كل شعبة منه بعرق من عروفي ثم انتزع من جوفي نزعاً شديداً فقبل له يا ابن عمران لقد هونا عليك الموت. قال: حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح وحدثني أحمد بن خالد عن محمد بن سلمة الحراني عن خضيف عن عكرمة عن كعب رحمه الله تعالى قال: إن في بعض الكتب السالفة من كتب شيث بن آدم أن آدم قال: يا رب أرني الموت حتى أنظر إليه فأوحى الله عز وجل يا آدم للموت صفات لا تقوى تنظر إليها لعظيم هولها، وإنني أنزل عليك أحسن صفاته لتنظر إليه، فأوحى الله عز وجل إلى ملك الموت عليه السلام أن اهبط على آدم وهو جالس بين الجبال، وقد هبط عليه الموت والمصطفين الأخيار فأوحى الله عز وجل إلى جبريل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام أن اهبطوا على آدم وهو جالس بين الجبال، وقد هبط عليه الموت في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحة أربعة أجنحة، جناح في الثرى وجناح قد جاوز السماوات وجناح بالمشرق وجناح بالمغرب له صدر أبيض وأحمر وأصفر وأخضر وأسود، وإذا الدنيا بحذاقيرها وجبالها وغيابها وبحارها وإنسها وجنبا وطيرها وهوامها والخافقين وما حوله والثرى وما حوله إلى المنتهى الذي علمه عند الله تعالى في نقرة صدره كالخردلة الملقاة في أرض فلاة، وله أعين لا يفتحها إلا في موضعها وأجنحة لا ينشرها إلا في موضعها وأجنحة لا ينشرها إلا للأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأجنحة لا ينشرها إلا في موضعها. فأما أجنحة الأولياء وأهل طاعة الله فإنها البشرية التي يبشرون بها في الحياة الدنيا وأما أجنحة الكفار فإنها سفافيد ومقاريف وكلايب فلما نظر آدم صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عليه السلام صعق وخر مغشياً عليه فأفاق بعد سبعة أيام يرشح عرفاً كان في مجاري عروقه الزعفران فقال: آدم عليه السلام يا رب ما أبشرد هذا وأهولها، وهكذا تذوق ذرئتي الموت فأوحى الله عز وجل إليه أعظم شأن ذرئتك إنما يدوقون الموت على قدر أعمالهم. يقول الله تعالى: { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ } هكذا أخبر بأنه وكل بجنس ذوي الأرواح، يقبضها، قال تعالى: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْقَرُونَ } ويقول الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ } . التوفي قد يراد به أخذ الأرواح، الليل يعني في النوم ثم ردها، ويراد به قبض الأرواح بالوفاة الذي هو الخروج من هذه الحياة، وفي حديث قبض الأرواح المشهور عن البراء رضي الله عنه أخبر بأن ملك الموت يأتي عند رأس الميت قرب موته ولو لم يشعر، ولو كان يمشي، ولو كان سليماً، ثم يخاطب روحه فيقول: { اخرجي أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان فتخرج روحه كما تسيل القطرة من فم السقاء } وفي رواية: { تسلم روحه كما تسلم الشعرة من العجين } أي لا يثأر بها. وذكر في الكافر أنه يقال له: اخرجي أيتها الروح الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق روحه في جسده وبتنزعها منه كما ينتزع السفود من الصوف المبلول؛ السفود هو حديدة لها رعوس متشعبة ملتوية إذا كانت في وسط الصوف وفي وسط الغزل صعب تليخها منها فلا تنزع منه إلا بعدما تنقطع تلك الشعرات في ذلك الغزل قطعاً شديداً، فهكذا هذه الروح في جسد الكافر تتعلق بعروقه وبلحمه وبدمه فلا تخرج إلا بشدة. قد فسر بذلك أول سورة النازعات { وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ تَسْبُطًا } فقيل: إن النازعات أرواح الكفار، تنزع نزعا، والناشطات: نشط أرواح المؤمنين، تنشط أي: تسلم ولا يحس بألم فيها. لا شك أن هذا بامر الله تعالى، ومع ذلك فقد يشدد الموت على بعض الصالحين وتكون الحكمة في ذلك زيادة ثوابه وكثرة حسناته، وتكفير سيئاته. ورد في حديث { المؤمن يموت بعرق الجبين } قيل: معناه أنه يُشَدَّدُ عليه الموت حتى يعرق جبينه من الألم، ومن الشدة، وفسر بغير ذلك، وروي أنه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته أو عند الموت أخذ يبل يديه، ويمسح وجهه ويقول: { اللهم أعني على الموت } أو هَوِّنْ علي الموت، أو أعني على الموت، وهَوِّنْ عَلَيَّ سكراته، فيدل على أن الموت شديد، يعني: خروج الروح من الجسد. وهذه الروح التي تعمر هذا الجسد إذا خرجت منه بقي الجسد جثة ليس فيه حركة، وليس فيه إحساس، مع أنه لم يتغير من أصله، لو وزن قبل الموت بلحظة، ثم وزن بعد خروج روحه ما ظهر فرق بين الحالتين، وهكذا أيضا غيره من الحيوانات. لما ذكر الله تعالى أن الأرواح في هذه الأجساد ذكر أنها تحشر إلى الله وتموت { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتُكُمْ مَا قَرَّرْتُمَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } فجميع الدواب أيضا تموت كما يموت الإنسان وموتها بخروج الروح التي كانت فيها، وليس يظهر أثرها. لو وزن مثلا الكبش قبل ذبحه، أو قبل موته، ثم وزن بعد موته ما ظهر هناك فرق، إلا فرق ذلك الدم الذي خرج بعد ذبحه، وإذا مات حتف أنفه دون أن يُدَكَّى به لم يَصِرْ هناك فرق، فدل على أن هذه الروح خفيفة، ليس لها تأثير في ثقل وزنه، ومع ذلك فإنها تتألم وتتعمق، وتحس، ويكون لها إحساس بعد الموت، وبعد مفارقتها لجسدها. في حديث البراء المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطع من الدنيا، نزل عليه ملائكة بيض الوجوه، معهم أكفان من الجنة، وحنوط من الجنة، وباسمين من الجنة، فيجلسون منه مد البصر، وبأبيته ملك الموت فيقول: أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان فتسلم روحه كما تسلم الشعرة من العجين، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يجعلها في تلك الأكفان وفي ذلك الحنوط والباسمين، ويخرج منها كأطيب رائحة وجدت على ظهر الدنيا، ثم يصعدون بها، ولا يمرون بملأ من الملائكة إلا سألوهم: ما هذه الروح؟ فيقولون: فلان بن فلان- يا حسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا- } . وذكر في الكافر ضد ذلك- نعوذ بالله- فهذا دليل على أن الملائكة يقبضون الأرواح، وأنهم يُعْمَوْنَهَا أو يعذبونها، وأنها تحس بالألم، أو تحس بالعذاب، وأنها تتأثر بذلك، وإن كانت قد فارقت الجسد، وأما الجسد فإنه لا يبقى له إحساس في الظاهر، بل يفنى، ويكون ترابا وعظاما ورفاتا، إلى أن يأذن الله تعالى بإعادته كما يشاء.